Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونحـــن عـــندما نفصـــل هذا العمل. نجد الأهالي وهم سكان الربوة، وفئة المســـتعمرين والقائد، ولدينا فئة ثالثة، وهي فئة العمال، وهي وسط بين الأولى والـــثانية بين الأهالي والمستعمرين. وفي مقام آخر لدينا الطاهر وبيبكو وزينب فكيـــف اســـتطاع هـــذا الـــروائي تقديم الطاهر وبيبكو وزينب والفئات الثلاث، شخصية متناهية، شخصية لا اسم ولا أجداد ولا شيء؟

إن هذه الشخصية هي شخصية من ورق، ولم تأت لتقدم حلولاً، بل جاءت لـــتطرح قضـــية. لقد قدمها المؤلف في صيغة ثنائية: زينب والطاهر /جاكلين وبيبيكو، وهي شخصيات ليس لها معالم محددة، فلا ماضي لها، ولا مستقبل لها إلا فـــي إطـــار البـــنية السردية، ولا إمكانات مادية، أو بمعنى آخر. ولا وجود لـــلمزاج الـــذي يملي عليها أفعالها. فزينب قد تماثل أو تطابق شخصيات أخرى تختلف عنها في الاسم فقط، فزينب هي تارة زوليخة، وتارة هي الطاهر، ورابح الجن قد يصبح ابنه. وصالح الذيب هو صورة أخرى لبيبيكو. فهذه الشخصيات لا تمـــلك خصـــائص اجـــتماعية فكرية وثقافية، وحتى إن وجدت عندها، فهي مشـــكوك فيهـــا، بـــل مشكوك حتى في الشخصيات نفسها. فزينب، هذه أتعبت الغديـــر. هذه مجنونة؟ أتعبتني بحركتها النشيطة؟ أهي سمكة بشرية؟ ماذا أقول لهـــا؟ لا أقـــوى على دفعها. لا أقدر على ابتلاعها لنفسي، لو أستطيع الاستئثار بهـــا" (ص18) هي أنثى دون أن تكون أنثى، ولعل المرأة هنا لا تمثل إلا وجهاً آخـــر لزيـــنب، وهـــي طوراً الأرض، يقول في (ص56-57) لم يكن لديه إلا الأرض الذهـــب. أعز ما يملك. أغلى ما تملكون. أرض زينب. زينب الأرض، أرضـــها الخصـــبة، الجملة، أعز ما تملكون. هل لكم رأي غير هذا؟ أبداً، لا. وهي طورا آخر شيء "خرافي لو شاهدتك حلومة، وأنت تحلقين من فوق الربوة العاليـــة، أو علم الجزائر ملأة واحدة فضفاضة خضراء بيضاء حمراء وهي ما كـــان ليـــس إلا أنت مجرد زينب. مجرد مكان تكالبوا عليه. أنت كائن ارتدى لـــباس البشـــر (ص؟) فشخصـــية زينب وإن بدت في البداية بمعالم تكاد تكون واضـــحة، تفقـــد فـــي كل وضع كل ملمح محدد ومؤطر لشخصيتها، إنها ذلك الشـــيء الـــذي لا يقـــبض عليه، إنها تتجدد باستمرار. وهذا ما يربك القاريء ويجعـــل خيـــوط الـــرواية تنفلت من بين أصابعه. ذلك أن هذه الشخصية غير محدودة بمعالم وبفكر وبمزاج وعواطف ولها تاريخ وميلاد ومكان وتواجد.

وفـــي موقـــع آخـــر من الرواية يقول السارد: "يا أصحاب الربوة. زينب خـــرافة العقد خرافة. أنت بالذات خرافة. خرافة في خرافة. هل تفهم؟ هذه هي